يقولُ : إِنّـَه ليس يَنْبغي للعاشقِ أن يلومَ من يَلومُهُ في عشقِه وأنه ينبغي أَن لا يُنكَرَ ذلك منه فإِنه لا يَعْلَمُ كُنْهُ البلوَى في العِشْقِ . ولو كان ابْتُلي به لعَرفَ ما هو فيه فَعَذَره . وقولُه - الكامل - : .

(ما أَنتَ بالسّـَبَبِ الضّـَعيفِ وإِنّما ... نُجْحُ الأُمورِ بقوّـَةِ الأسبابِ) .

(فاليومَ حاجَتُنا إِليكَ وإِنّما ... يُدْعَى الطّـَبيبُ لِساعةِ الأَوْصابِ) .

يقولُ في البيتِ الأول : إِنه ينبغي أن أنْجحَ في أمري حِينَ جعلتُك السببَ إِليه . ويقولُ في الثاني : إِنّـَا قد وضعْنا الشيءَ في موضِعِه وطلبنا الأمرَ من جهَتِهِ حينَ استعنّا بك فيما عرضَ من الحاجة وعوّـَلنا على فضلِكَ . كما أنّـَ مَنْ عوّـَل على الطبيبِ فيما يعرِضُ له من السُقْم كان قد أصابَ بالتّـَعويلِ موضِعَه وطلب الشيءَ من مَعْدِنه .

ثم إِن العجَبَ في أنّـَ هذا التعريضَ الذي ذكرتُ لك لا يحصُلُ من دُونِ " إِنما " فلو قلتَ : يتذكّـَرُ أولو الألباب لم يدلّـَ على ما دلّـَ عليه في الآية وإِنْ كان الكلامُ لم يتغيّـَرْ في نفسِه وليس إِلاّـَ أنه ليس فيه " إِنما " . والسَبَبُ في ذلك أن هذا التّـَعريضَ إِنما وقعَ بأن كان من شأنِ إِنّـَما أن تضمّـَنَ الكلامُ معنى النفي من بَعْدِ الإِثباتِ والتصريحِ بامتناعِ التذكّـُرِ ممن لا يَعْقِل . وإِذا أُسقِطَتْ من الكلامِ فقيل : يتذكّـَر أولو الألباب كان مجرّـَدَ وصفٍ لأولي الألباب بأنهم يَتذكّـَرُون . ولم يكنْ فيه معنى نفيٍ للتذكرِ عمّـَن ليس منهم . ومحالٌ أن يقعَ تعرضٌ لشيءٍ ليس له في الكلام ذكرٌ ولا فيه دليلٌ عليه . فالتعريضُ بمثلُ هذا أعني بأن يقولَ : يتذكرُ أولو الألباب بِإسقاطِ " إِنما " يقعُ إِذًا إِنْ وقع بمدحِ إِنسانٍ بالتيقّـُظ وبأنه فعلُ ما فعلَ وتنبهٌ لِما تنبّـَهَ له لعقله ولحسنِ تمييزِه كما يقال : كذلك يفعلُ العاقلُ وهكذا يفعل الكريمُ . وهذا موضعٌ فيه دقةٌ وغموضٌ وهو مما لا يكادُ يقعُ في نفسِ أحدٍ أنه ينبغي أن يُتعرّـَفَ سبُبُه ويُبحثَ عن حقيقة الأمرِ فيه .

وممّـا يجبُ لك أن تجعلَه على ذكرٍ منك من معاني " إِنما " ما عرّـَفتُك أولاً من أنها قد